



علي عبدالله صالح.. الحوار مفتاح شخصيته

لكل صاحب رسالة، وقائد عظيم، وسياسي حكيم، مفتاح لشخصيته يسهل به سير أغوارها، واكتشاف قدراتها، وتفسير آثارها ومآثرها، واستكناه ما تفكر به لمستقبل أفضل. والأخ الرئيس علي عبدالله صالح، واحد من أولئك القلائل العظام الذين جاد بهم تاريخ اليمن المعاصر، وأزعم أن مفتاح شخصيته الفذة هو الحوار.



بقلم الدكتور / أحمد الأصبحي
عضو مجلس الشورى

الذين التقوه، ويقابلونه من المواطنين والضيوف الأشفاء، والصدقاء، وهم كثرة كأثره يجدونه مدرسة متميزة بمنهج حوار هادي وهادف، مفرداته البحث عن الحقيقة، والوصول إليها، ودم احتكارها، واحترام الرأي والرأي الآخر، ونبذ التعصب المقيت.. وخلفه التواضع الجب، والحلم، وتقدير محاوريه، والاستماع الجيد لمعارضيه.. ووسائله المجادلة الحسنة وبيان المنطق والحجة، والصبر والإناة.. وغايته الوصول بمحاوريه إلى الأهداف النبيلة، والتفاعل الجاد مع الرسالة الوطنية، والطموحات الشعبية. وشهود مقامه الحوار إنما يصدرون في اجتماعهم هذا عن يقين جسدته وأقع الوطن والشعب والدول، المتسم في عهده بالإنجازات التاريخية المتمثلة بالوحدة والديمقراطية والتنمية الشاملة في شتى مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وانعكاسها على السياسة الخارجية لليمن بالمكانة الرفيعة لبلادنا في المنظومات العربية والإسلامية والإقليمية والدولية.

ولقد كان لإبراعة الأخ الرئيس في إدارة الحوار، والتمكن من فنونه ومنهجية الرسالة دور عظيم في الانتقال باليمن إلى مرحلة ثرة العطاء، طيبة الخيرات، تؤسس لبناء الدولة الحديثة، دولة النظام والقانون والعمران.

فقد أنهى الأخ الرئيس والحوار الحواجز النفسية التي كانت قائمة بين السلطة والقوى الفكرية والسياسية.. وأثرى الحوار التجربة الوطنية وعزز جبهتها الداخلية، وأتاح فرص الانسجام والتجانس بين مختلف أوان الطيف السياسي، وخلصنا من كثير من شوائب الانطباعات الخاطئة، ورواسب الانقصاص المتبادلة، ومكنها من الالتقاء، على الثوابت الوطنية.. وعالج الحوار حالة الاحتقانات السياسية، وثبتت مبدأ تعظيم الجوامع واحترام الفرق.. ورشح بالحوار قاعدة العمل الديمقراطي السلمي.. ووصل الجميع إلى الاتفاق على ملء الفراغ السياسي بصياغة ميثاق وطني يمثل الحد الأعلى لالتقاء الشعب على مضمونه، والحد الأدنى بين مختلف القوى السياسية.. ويقام المؤتمر الشعبي العام كأسلوب للعمل السياسي المنظم، والذي مهد لتقيام التعددية السياسية والحزبية وسرع بالحوار في إعلان قيام دولة الوحدة بتلازم وثيق مع ديمقراطية التعددية السياسية.. وأضاف بالحوار بُعد التنمية السياسية إلى بعدي التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأضفى على التنمية الشاملة روح المشاركة الشعبية والسياسية، وعزز مؤسسات المجتمع المدني.

وأزاح بالحوار حالة العزلة التي نأت باليمن عن المحيطين العربيين والدولي، واستحوذ على احترام الأصدقاء، والصدقاء، وتمكّن الحوار من حل مضللت العلاقات الحدودية مع دول الجوار الشقيقة وجعل من سياسة بلادنا الخارجية مثالا للعلاقات المتوازنة، القائمة على الاحترام المتبادل، وخدمة المصالح المشتركة.

وبصفة إجمالية فقد تمكن الأخ الرئيس من أن يرسم بالحوار الصورة المشرفة والمشرقة لليمن بكلية أجزائها الموطرة بالوحدة وبمعالمها الديمقراطية البارزة، وبجماليات التنمية الشاملة ومهابة الكيان والمكانة والتاريخ.

ومنهجية الحوار التي اتسمت بها شخصية الأخ الرئيس منهجية رسالية، انبعثت من بين هموم الشعب واهتماماته وأمله، وأدمه وأناته ومحنه وشأنه الذي تعرض لها في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي، والتي تمتد لها الجبال.. فقد رشحه القدر أثر ما شهدته اليمن في تلك الفترة الحائلة الكالحة من مصارع زعامات لوث في شمال الوطن وجنوبه، وتمكّن هذا الزعيم من أن ينجو باليمن ويحياها بما تلك الفترة العصيبة التي بر الأمان والسلام، ويلج بالوطن والشعب مرحلة جديدة طافحة بالبر والهدى، وواعد بالخير والرفاه.

وما كان لمنهجية الحوار الرسالية أن تغدو مفتاح شخصية الأخ الرئيس لولا أنها نمت معه، وخالطت كيانه منذ نعومة أظفاره، وصارت أصل في تكوين شخصيته التي ترعرعت في يمن اليمن، واعتدت من غلال إيمانهما، وأزوت بهما حكمتها.

فسيرة الأخ الرئيس الذاتية تحدثنا عن فرد من عموم أبناء الشعب، نشأ مواطناً بسيطاً في أسرة ريفية فقيرة تنتمي إلى الوسط الشعبي الذي عاش شظف العيش، وذاق مرارة الحياة، محروماً من أبسط حقوقه في الصحة والتعليم في ظل الحكم الإمامي المستبد.. ولم يكن من بُد أمام أبناء جيله إلا الاعتماد على النفس مع أسرهم المكافحة، ومكابدة الحياة، وعناء المعيشة.. وقد كان علي عبدالله صالح واحداً ممن عاشوا فترة طفولتهم بلا طفولة، وهذا ما نفى فيه الشخصية العصابية، وروح التحدي ومغالية شأنه الحياة، فتلقى دراسته الأولية في كُتاب القرية، وارتبط بالأرض فلاحاً ووعياً، ولاستمر قدماً ترثتها، وتوطنت نفسه على محبتها، وارتقت المحبة إلى الدفاع عن الوطن، فكان الهنء إلى الالتحاق بالقوات المسلحة عام 1958م.

وبفضل عصاميته، وعلوهمته، وقوة جلده وانضباطه، تدرج في الرتب العسكرية، وشغل مناصب قيادية عسكرية دروع.

- قائد فصيلة دروع.
- قائد سرية دروع.
- أركان حرب كتيبة دروع.
- مدير تسليم المدرعات.
- قائد كتيبة مدرعات.
- قائد قطاع المنذب.
- قائد لواء تعز.
- قائد معسكر خالد بن الوليد «1975-1978م».

وقد كان معروفاً من يومئذ بالتفاعل النشط مع هموم وطنه، وقضايا شعبه، ولم يكن بمعزل عن الأحداث والتحويلات والمخاضات التي مزّ وجمير بها الوطن، فقد فرضت عليه وطنيته أن يشارك من مواقفه المختلفة في الدفاع عن اليمن، وتثبيت نظام الجمهوري، وأن يليلي بلا حسناً في فُك حصار صنعاء، الذي ضرب عليها سبعين يوماً، ولأنها كانت المحن والأخطار التي أهدقت بالوطن، مراحل القدر التي هيأت هذه الشخصية العصابية لدور مرتقب عظيم، يحسن فيه قيادة مسيرة النهوض الوطني الشامل، وليعطي صورة القائد المنيع من بين صفوف الشعب المكافح، وليحمل بين جنبيه قلباً نابضاً بحب شعبه ووطنه، وليبذل أحد فوارس أمته في الذود عن حماها، والدفاع عن قضاياها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، والمشاركة في بناء مشروعهما الحضاري.

ولقد أتاح له تدرج الرتب، والتنقل الوظيفي وتنوع الإمكانيات أن يخيّر المواطنين العسكري والمدني، وأن يحنك بقطاعات واسعة من جماهير الشعب وأن ينتج على مختلف القوى السياسية والفكرية، ويمد إليها جسوراً من الحوار، حتى لقد ظنه كل فريق منتعياً إلى صفه، على أنه كان أكبر من أن يتحيز إلى فريق دون آخر لعلمه أن كل فريق يدرك الحقيقة، وطالما تأقت نفسه ليري الجميع على صعيد واحد يتحاورون ليصلوا إلى القواسم المشتركة.. فقد كان في طبيعة تكوينه شعبي المشورة يغشى المجالس، ويرتاد المنتديات، ويقترّب من مختلف شرائح المجتمع واتجاهاتها، ويعترف على طرائق تفكيرها واهتماماتها.. وحين استقر عمله قائداً لمحافظة تعز تلك العاصمة الثقافية، جعل من مقره ملتقى للنخب الفكرية والأدبية والسياسية، يتجاوزون، ويتناظرون، ويتديرون أمر الوطن كل من وجهة نظره، ويتكلمون بأرائهم من يحسن التقاط زبد الكلام، فالمجالس مدارس.. ولقد أدرك الرئيس بصيرته أن خير ما ينتج للوطن من مآزقه السياسية، وأزماته الاقتصادية، وتواتراته النفسية والاجتماعية، هو الحوار بين مختلف القوى والتيارات السياسية والتقاؤهما على أمر جامع يوفّق بين القلوب، ويوحّد الكلمة، ويلمّ الشمل.

وظلت مدرّكاته الحوارية حبيسة صدره، تنتظر اللحظة التاريخية لتكون مفتاح حكمتها إلى قلوب أبناء شعبه، وقوامه السياسية والفكرية.. أفصح عن امتلاكه هذا المفتاح لحظة قدومه من موقعه كقائد لواء، ترحل إلى العاصمة صنعاء، إثر اغتيال الرئيس أحمد حسين الحشمي رحمه الله، ليشغل عضوية مجلس ناسنة الجمهورية المؤقت، ونائب القائد العام، ورئيس هيئة الأركان العامة. ففي هذه اللحظات العصيبة وفي ساعة العسرة كان كلّ تفكيره منصّباً على تهيئة الأسباب لفتح حوار وطني، يضيء إلى إقرار ميثاقاً لتلتقي عليه جماهير الشعب، وقواه السياسية والاجتماعية.. وما كان لتعليم قومه في مثل الظروف الحرجة، والمتعطّلات الحاسمة إلا أن يكون له مثل هذا

«1»

المصغرة، وتعبين 30% من قبل الدولة، وانعقد المؤتمر العام الأول، وقدمت إليه الصياغة النهائية لمشروع الميثاق، وتم إقرار الميثاق بصيغته النهائية خلال فترة انعقاد المؤتمر من 24-29 أغسطس 1982م، وأقر المؤتمر في الوقت نفسه استمرار المؤتمر الشعبي العام أسلوباً للعمل السياسي، وانتخب الرئيس أميناً عاماً للمؤتمر في 30 أغسطس 1982م.. وأقر النظام الداخلي للمؤتمر، وبرنامج العمل السياسي.. وتشكلت اللجنة الدائمة للمؤتمر وأمانة سرها، واللجان المتخصصة، واللجنة العامة.. ومارس المؤتمر دور الاضطلاع بمهمة التنمية السياسية، والمشاركة في صنع القرار.

لقد أحدث قيام المؤتمر الشعبي العام تحولاً نوعياً في نمط الحياة السياسية، وأفسح قيامه المجال واسعاً أمام تعددية المنابر في داخله، وترتب على ذلك تقليص حجم العمل الحزبي في الخفاء، والحد من الصراع في ما بين الأحزاب من جهة، وبينها وبين السلطة من جهة أخرى، وادى في قيام المؤتمر كذلك إلى الدفع بعمل لجان الوحدة، وتشكيل لجنة التنظيم السياسي الموحد مع نظيره الحزب الاشتراكي.. وكان لقيام هذه اللجنة دور التسريع في بلورة فكرة الأخذ بنظام التعددية الحزبية والسياسية فور إعلان قيام دولة الوحدة.

وهكذا حقق الرئيس القائد أول آماله الوطنية الكبرى في ملء الفراغ السياسي والتأليف بين أوان الطيف السياسي، وتخليصها من حالة التنافر لتلتقي حول ميثاق وطني أسهم الجميع في صياغته، واتخاذ معالم على طريق النهوض الوطني الشامل.

وفيما ظل المؤتمر الشعبي العام يتوسع بعروضه، ويراجع نظمه ولوائحه الداخلية، ويعقد دوراته الاعتيادية والاستثنائية قبل وبعد قيام دولة الوحدة، التي عفت فيها تكويناته ونشاطه مختلف محافظات الجمهورية، ويسهم بفاعلية عالية ومتميزة في نشر الوعي السياسي، وترسيخ الوحدة الوطنية، والاحتفاظ بموقع الريادة..

لم يغفل الأخ الرئيس الاهتمام بمجالات البناء والتنمية، وهي التي تشكل غاية الحوار، ومحور الاعتيادية والاستثنائية قبل وبعد قيام دولة الوحدة، التي عفت فيها تكويناته ونشاطه مختلف محافظات الجمهورية، ويسهم بفاعلية عالية ومتميزة في نشر الوعي السياسي، وترسيخ الوحدة الوطنية، والاحتفاظ بموقع الريادة..

ففي عام 1979م، صدر الاعلان الدستوري الثالث القاضي بتوسيع اختصاصات مجلس الشعب التأسيسي، وزيادة عدد أعضائه من «99» عضواً إلى «159» عضواً، واستحدث مختلف الكفاءات العلمية والتقنية والفنية، والقرارات المتخصصة لبذل أقصى وتائر الجهد للنض في تنفيذ الخطة الخمسية الأولى، محمداً أولويات العمل الوطني في مختلف مجالات التنمية الشاملة.

وعلى الرغم مما كان يعترض مسيرة البناء والتنمية من معوقات وإشكالات، فإن حكمة القائد كانت أقوى من كل العوائق، واستطاع أن يحيل نتائج حرب 1979م، بين شطري اليمن قبل الوحدة إلى إنجازات سلمية، تمثلت بتنشيط عمل لجان الوحدة، وتخليب منطق الحوار السلمي، وتحكيم العقل عوضاً عن اللجوء إلى العنف والحرب.. وظلت أهداف الثورة اليمينية نصب عينيه يجسدها في واقع الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية.

ولم يتوان لحظة عن أن يولي العمل النيابي، والتعاوني والنقابي عناية خاصة ويتعهد بإيائه بالنماء، إيماناً منه بأنها القنوات الطبيعية لتعبير المواطن عن حقه في المشاركة السياسية والشعبية، وبأنها السبيل الأنسب للارتقاء بالحياة السياسية، والدفع بعجلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية وبناء الدولة الحديثة.

نقرأ عنايته الخاصة هذه في انتظام الانتخابات الدورية للمجلس النيابي في مواعيدها، فقد جرى انتخاب أعضاء مجلس الشورى، في يوليو 1988م، وسارت العملية الانتخابية بنجاح تام، شهد المراقبون العرب والدوليون ينزاهتها وسلامتها.

وبعد قيام دولة الوحدة، وفي ظل التعددية السياسية استمر انتظام الانتخابات الدورية وأخرها انتخابات الدورة النيابية الثالثة في 27 أبريل 2003م.

وتمثلت انتخابات الهيئات الادارية للمجالس المحلية للتطوير التعاوني في أكتوبر 1985م، إضافة وطنية إلى رصيد العمل الديمقراطي التنموي، ولم تقتصر مهامها على الأعمال الخدمية، ومشاريع التنمية المحلية فحسب، بل أسهمت كذلك في صنع القرار المحلي، وممارسة مختلف أشكال النشاط الاجتماعي، وحل القضايا المحلية، وتعزيز الجبهة الداخلية.

ومن أجل تحقيق المزيد من المشاركة السياسية لمرور الوطن، والذين لديهم الخبرة العملية في الحياة السياسية، صدر القرار الجمهوري عام 1989م الاعام رقم 1989م والمقرر بوجوب تشكيل المجلس الاستشاري ليهمم في دراسة القضايا الداخلية والخارجية ذات العلاقة بالمصلحة الوطنية العليا للبلاد، وقد اتسعت عضويته بعد قيام دولة الوحدة، ثم أضحى مجلساً للشورى.

وأخذت المنظمات الشعبية والجمهورية في الاتساع الإقليمي والرأسي، والتطور الكمي والنوعي، وقام العديد من الاتحادات والنقابات والجمعيات، وشملت مختلف القطاعات العمالية والمهنية والحرفية، إلى جانب الجمعيات الزراعية والخيرية والعلمية والإسكانية.. وتشكل ما يزيد على «15» نقابة عمالية تم على أساسها تشكيل الاتحاد العام لنقابات عمال الجمهورية.

وشملت النقابات والاتحادات المهنية مختلف التخصصات، وبلغت «17» نقابة واتحاد، وتحقق في المجالات الثقافية والاجتماعية والخيرية، إنشاء العديد من الجمعيات منها خمس جمعيات نسائية، وخمس جمعيات ثقافية واجتماعية وصحية وخيرية، و«24» جمعية حرفية ونوعية.. أما الجمعيات التعاونية الزراعية فقد بلغ عددها «100» جمعية، وتجاوز عدد المنظمات الجماهيرية «300» منظمة شملت العاملين والمتخصصين في مختلف المجالات.